الانجازات الثلاثة القيمة للدبلوماسية الاقتصادية
في حكومة آية اللّه الشهيد رئيسي

الاستراتيجيات ، التوجهات ، و الاولويات ، التي اعتمدتها الحكومة الثالثة عشرة ـ حكومة الشهيد رئيسي ـ في السياسة الخارجية ، شكّلت الحجر الاساس للكثير من التحركات ، و حددت الخيار السليم للآفاق المستقبلية ، بإرساء القواعد و تسهيل مهمة عمل الحكومات القادمة .

تعيش ايران هذه الايام عزاء ارتحال رئيس جمهوريتها الثوري المحبوب ، الذي نذر حياته لخدمة الناس و تحقيق الاستقرار و الرخاء للمواطنين.. الرئيس الثامن للجمهورية الاسلامية ، خلال السنوات الثلاث من نشاطه المتواصل ليل نهار، الذي لا يعرف التعب و الملل ، كان مصدر خدمات و انجازات كثيرة على طريق الارتقاء بموقعية ايران الاسلامية على الصعيد الدولي ، الذي مثّل في الحقيقة احد المجالات المضيئة لتحركات حكومة آية الله الشهيد رئيسي سيما على صعيد العلاقات الخارجية ، وشكّل موروثاً قيّماً بالنسبة له .

و في هذا الصدد ، و فضلاً عن النتائج الملموسة و تجلي ثمرة سياسات حكومة آية الله رئيسي في تقوية العلاقات الخارجية للجمهورية الاسلامية انطلاقاً من المصالح الوطنية ، و تنامي القدرات المحلية ، و نمو التجارة الخارجية ، و افشال أثر العقوبات ؛ فضلاً عن كل ذلك ، غير ان استراتيجيات و توجهات و اولويات الحكومة الثالثة عشرة ، وضعت في السياسة الخارجية حجر الاساس للكثير من المواقف و التحركات ، التي وضعت من خلالها اسس الخيار السليم للآفاق المستقبلية ، و ذلك بتحديد السبل الكفيلة بتسهيل مهمة عمل الحكومات المقبلة.. يحاول هذا المقال استعراض جانب بسيط ـ و لكنه في غاية الاهمية ـ من مكاسب و انجازات السياسة الخارجية لحكومة آية الله ابراهيم رئيسي.

اولاً ـ العضوية في المنظمات الاقليمية و الدولية

دعم و مساندة التكتلات الدولية في العلاقات الخارجية ، خاصة العضوية في منظمات و معاهدات السوق الاقليمية المشتركة و توافقات التجارة الحرة ، كان يشكّل على الدوام احد الاهداف الهامة في استراتيجية السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية . و في هذا المجال الهام استطاعت حكومة آية الله رئيسي ان تحقق نجاحات ملفتة ، و محاولة الاستفادة ـ على نطاق واسع ـ من الموقعية الجيوسياسية الهامة و القدرات الداخلية للاقتصاد الايراني للاستحواذ على دور فاعل في التجارة الدولية بنحو تتفوق فيه على الحكومات السابقة .

و يتمثل احد هذه النجاحات الذي يعتبر في غاية الاهمية ، في حسم عضوية ايران في المنظمتين الاقتصاديتين الهامتين شنغهاي و بريكس ، اللتان تضمان قدرات عالمية حديثة الظهور غير غربية .. و على الرغم من قبول ايران لفترة طويلة بمثابة عضو مراقب ، و لكن لو لم يحدث ثمة تغيير في النظرة الاستراتيجية ازاء توجهات السياسة الخارجية للحكومة الايرانية بعد تسلّم آية الله رئيسي لرئاسة الجمهورية ، سيما فيما يتعلق بالتنمية الشاملة للعلاقات مع الشرق ، لما تم القبول رسمياً بعضوية ايران بهذه السرعة في المنظمة ..

ان استقبال روسيا و الصين ، باعتبارهما حليفين استراتيجيين بارزين ازاء للتحولات الهامة التي تهدف الى بلورة نظام دولي جديد ، لإنضمام الجمهورية الاسلامية الايرانية بمثابة الضلع الثالث للمعسكر الشرقي ، كان قد آخذ بالاعتبار السياسة الايرانية المستقلة تماماً ، و موقع ايران الجيوسياسي الحساس ، و قدراتها العسكرية و نفوذها الاقليمي.. و لاشك ان سياسة آية الله رئيسي بالتوجّه نحو الشرق ، لعبت الدور الابرز في هذا المجال . و من المسلّم به ان عضوية ايران في مجموعة شنغهاي ، يوفر فرصة فريدة للتنمية الاقتصادية و التجارة العالمية بالنسبة لإيران . ذلك ان هذه المنظمة تستحوذ على نحو ٣٠ بالمائة من الانتاج الداخلي الاجمالي العالمي ، و تضمّ حوالي ٤٠ بالمائة من سكان العالم ، و مثل هذا يعني الفشل الكامل للعقوبات الغربية و محاولة ابعاد الاقتصاد الايراني عن التجارة العالمية .

كما ان عضوية ايران في بريكس ، و الانضمام الى تكتل القدرات الاقتصادية العالمية حديثة الظهور ، التي سوف تشكل ـ وفقاً لرؤية الخبراء ـ بديلاً عن مجموعة جي ٧ في المستقبل ، سيترتب عليها فوائد اقتصادية متنوعة ، بما في ذلك الحد من دعم التجارة الخارجية من خلال تقليل النفقات التجارية و الكمركية ، و انتقال العلوم التكنولوجية ، وتأمين المواد الاولية ، والتعامل و الارتباط مع الاسواق العالمية، و تدعيم الاسواق الوطنية وما يترتب على ذلك من الحد من مشكلات سونيف و التخلص منها بالكامل .

و في هذه الفترة ، و بميمنة وجود الدكتور الشهيد امير عبد اللهيان على رأس سلك السياسة الخارجية ، و محاولة التركيز على الدبلوماسية الاقتصادية ، استطاعت ايران ان تخطو خطوات باهرة على طريق الانضمام الى عضوية المنظمة الاقتصادية اوراسيا (EAEU) ، و ان توقع مع هذه المنظمة ، التي تهيمن على نحو ٢,٤ من الاقتصاد العالمي ، اتفاقية التجارة الحرة .

ثانياً ـ البحث عن اسواق و معابر اقتصادية

ان اعطاء السياسة الخارجية لحكومة آية الله الشهيد رئيسي الأولوية للمسائل الاقتصادية ، ادّى لأن يقوم آية الله رئيسي ـ خلال ٣٣ يوماً من توليه لرئاسة الجمهورية ـ بـ ٢٨ زيارة الى خارج البلاد . و في هذه الاثناء ، وعلى الرغم من ان اولوية الحكومة تهدف الى توسيع دائرة العلاقات الاقتصادية مع دول الجوار و دول المنطقة ، غير ان الشهيد رئيسي لم يغفل عن الاسواق العالمية المستعدة لتواجد الشركات و السلع الايرانية ، خاصة بالنسبة للدول النامية . و في هذه الفترة ، و بعد سنوات الركود ، بادرت الحكومة الثالثة عشرة الى احياء موقعية ايران السياسية و الاقتصادية في اميركا اللاتينية . و ان آية الله رئيسي و اضافة الى الزيارات و اللقاءات الجانبية على هامش الاجتماعات السنوية للامم المتحدة ، قام في حزيران ٢٠٢٣ بجولة زار خلالها ثلاثة دول في اميركا اللاتينية هي فنزويلا و نيكاراغوا و كوبا . و بالتوقيع على ٣٥ اتفاقية للتعاون في مجالات متعددة ، خطى خطوة كبرى على طريق استحواذ الاقتصاد الايراني على حصة تسويقية بارزة في هذه المنطقة .

و في نفس الفترة نفسها كان بالامكان ان نشهد نقلة نوعية في العلاقات مع افريقيا ايضاً ، الذي تمثل احد نماذجها البارزة في المبادرة الى تنظيم الاجتماع الدولي الايراني الافريقي ، الذي عقد في طهران اوائل (نيسان/ ابريل) الماضي ، و شاركت فيه اكثر من ٣٠ دولة افريقية . و من ناحية ثانية ، قام الشهيد رئيسي بجولة افريقية في شهر تير ١٤٠٢ شمسي ، زار خلالها ثلاث دول افريقية هي كينيا و اوغندا و زيمبابوي ، و اعتبرت الزيارة بمثابة الاولى التي يقوم بها رئيس ايراني الى القارة الافريقية بعد احد عشر عاماً ، و كانت جولة موفقة حقاً استطاعت ان تحقق مكاسب ملفتة .

البحث عن اسواق اقليمية و تعزيز العلاقات مع الدول العربية

الارتفاع الحاد الذي شهدته عوائد النفط و الغاز رغم سريان العقوبات و انعقاد توافقات الطاقة مع دول الجوار ، شكّل هو الآخر انجازاً للدبلوماسية الاقتصادية التي اعتمدتها الحكومة الثالثة عشرة بفضل توجهات الرئيس الثامن للجمهورية الايرانية.. ان ايران اليوم ، و استناداً الى تصريحات المسؤولين الرسميين ، استطاعت ان ترفع مستوى الانتاج ، و الارتقاء بمعدل الصادرات و العوائد النفطية ، حتى اكثر مما كان عليه قبل خروج اميركا من الاتفاق النووي . من ناحية ثانية ، ان تفعيل دبلوماسية الطاقة و تنمية تعاون ايران مع دول الجوار ، بمثابة سياسة معتمدة من قبل وزارة النفط منذ الايام الاولى لاستلام حكومة آية الله رئيسي لمهام عملها ؛ ادّت الى انهاء خمس سنوات من العجز عن التوصل الى اتفاق بشأن الغاز مع جمهورية تركمنستان . و ان الاتفاق الثلاثي ـ بمشاركة جمهورية اذربيجان ـ وفّر الفرصة لتمهيد طريق دخول ايران الى اسواق الغاز الاوروبي في المستقبل . خطوة أخرى من الخطوات الرئيسية للحكومة الثالثة عشرة في مجال صادرات الطاقة ، تم اتخاذها خلال الزيارة الاخيرة التي قام بها الشهيد آية الله رئيسي الى باكستان ، حيث تم التوقيع على مذكرات تفاهم بشأن اكمال مشروع خط انابيب صادرات الغاز الايراني الى باكستان .. و مع استكمال الخطوات النهائية لهذا الاتفاق ، سوف تشهد ـ دون شلك ـ نقلة نوعية في حصة ايران بالنسبة لأسواق الطاقة في المنطقة ، خاصة مع تنفيذ المشروع العظيم لتشغيل المرحلة الحادية عشرة من استكمال حقل بارس الجنوبي في ظل الحكومة الثالثة عشرة ، حيث ستكون حصة ايران من هذا الحقل المشترك ، رغم العقوبات ، تفوق حصة القطريين .

ثالثاً ـ تفعيل قدرات المعبر الايراني

ايران بلد يحظى بموقع جيوسياسي فريد ، حيث يقع في مفترق طريق بري رئيسي يوصل شرق العالم بغربه و شماله بجنوبه . و ان نفس هذا الموقع اوجد فرصة لايران تتمكن من خلالها الاضطلاع بدور رئيسي بالنسبة لمشاريع التجارة العابرة ـ الاترانزيت ـ الهامة و شبكة التجارة الدولية ، و تحقق عن هذا الطريق التنمية الاقتصادية و ارتفاع معدل العوائد المالية.

و في هذا المجال ايضاً ، يمكن مشاهدة ارتقاء مرتبة ايران الاقليمية و الدولية التي تحققت في ظل حكومة آية الله رئيسي . ذلك ان تغيير رؤية اللجنة المعنية بالاقتصاد المقاوم في الحكومة ، أدى لأن يتحول مشروع " النقلة النوعية لمعبر التجارة العابرة بين الشمال و الجنوب " الى احد الاولويات الاقتصادية ، و بالتالي ان تشهد مشاريع سكك الحديد و الطرق البرية المرتبطة بهذا المشروع ، تطوراً ملفتاً خلال فترة قصيرة . و في هذا الصدد تم الاسراع بتحقيق المزيد من التواصل و التعاون مع الهند لتطوير ميناء جابهار . كما شهد خط سكة الحديد الذي يتصل بافغانستان نقلة نوعية في عهد الادارة الجهادية لحكومة آية الله رئيسي ، حيث تم افتتاح خط سكك الحديد بين خواف ـ هرات في شهر تير عام ١٤٠٢ شمسي.

المعبر الذي يربط الشرق بالغرب ، يعتبر هو الآخر بمثابة مشروعاً استراتيجياً نظراً لما يمتلكه من طاقة حمولة اكبر ، فهو يتمتع بالقدرة على المزيد من التنافس في المنطقة ، و ان الممرات التنافسية الذي ينشط بعضها في الوقت الحاضر ، اضحت ممرات معتمدة . وما يذكر هو انه قبل ثلاثة سنوات (ديسمبر ٢٠٢٠) عندما تم افتتاح خط سكة حديد طريق الحرير، الذي يعرف بمشروع " حزام واحد ـ طريق واحد " ، وصل اول قطار حمولة انطلق من تركيا سالك هذا الخط متجهاً الى الصين دون العبور من ايران ، مما أثار تساؤلاً عن عدم التحاق ايران بالمشروع العظيم طريق الحرير .. و بهذا النحو و على الرغم من ادراك ايران في الفترات السابقة ، لأهمية الموقع الجيوسياسي الذي يتصف به مشروع طريق الحرير الجديد ، إلا أنها كانت الغائب الاكبر عن هذا الخط الاستراتيجي .

بيد أن هذا التوجه تغيّر في عهد حكومة آية الله رئيسي ، في ظل التركيز على اهمية الاستفادة من القدرات الاقليمية التي تتمتع بها البلاد ، و بالتالي اعتماد توجهاً جديداً يتناسب مع الامكانات التي تتمتع بها الممرات الشمالية و الجنوبية و كذلك الشرقية و الغربية ، حيث تقرر احداث ممر جديد ، على ان يتم استغلال طاقات البلاد في التجارة العابرة لمضاعفة حجم التبادلات التجارية و الارتقاء بمعدلاته مع الحلفاء .

ان افتتاح خط سكك الحديد للتجارة العابرة ـ حمولات كبيرة (كانتينر) ـ الذي يربط بين كازاخستان ـ تركمنستان ـ ايران ـ تركيا ، لنقل حمولات التجارة العابرة عبر (الكانتينر) ، في خرداد ١٤٠١ شمسي ، لتقوية المعبر شرق ـ غرب . والتوقيع على بروتوكول الخاص بالمعبر بين الصين الى اوروبا خلال اجتماع طشقند ، شكّل احد الانجازات الهامة لهذه السياسة التي استطاعت ان تعيد ايران الى طريق الحرير .

المصدر : AlwaghtFarsi